وقفة تقويم :

الجهاد الأفغاني (١)

منذ أن قام الجهاد في أفغانستان إعلانًا سنة ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م وقلوب المسلمين تتابع هذه المسيرة المباركة التي وقف الرجال فيها متحدين أكبر قوة بشرية على وجه الأرض، من حيث العدد والعدة. . وأنفق الروس على هذه الحرب مليارات الدولارات مما أدى إلى انهيار الاقتصاد الروسي، وكان سببًا من الأسباب التي أزعم أنها مباشرة في سقوط الشيوعية، وإن لم يكن السبب الأول، ثم ما تبع هذا من تفكك في البنية السياسية للاتحاد السوفييتي، ولهاث الساسة هناك خلف النظام الغربي الرأسمالي. . فعدَّ المهتمون بالجهاد هذا الانهيار نصرًا من الانتصارات التي حققها المجاهدون في أفغانستان، ولا أدلَّ على ذلك من انسحاب الروس مخذولين من أفغانستان، ثم الاتفاق أخيرًا مع الولايات المتحدة الأمريكية على قطع الإمدادات العسكرية عن الأطراف «المتنازعة» في أفغانستان مع نهاية العام الميلادي الحالي ١٩٩١م الذي يوافق نهاية شهر جمادى الآخرة ١٤١٢هـ.

وصمد المجاهدون في أفغانستان طيلة السنين الثلاث عشرة المنصرمة، قدموا خلالها أكثر من مليون وستمائة ألف قتيل، ندعو الله أن يحشرهم جميعًا في زمرة الشهداء، وقدموا خلالها قريبًا من هذا العدد من المجاهدين المعاقين، وقريبًا من هذا العدد من الأيتام، وأقل من هذا العدد بقليل من الأرامل، وأكثر من ستة ملايين مهاجر على الأرض الباكستانية في الشرق والأرض الإيرانية في الغرب. . وعَدَّ بعض المهتمين هذا الصمود للمجاهدين نصرًا من الانتصارات التي حققوها في أفغانستان عندما تحدوا بإمكاناتهم المحدودة هذه القوة المعروفة بإمكاناتها المختلفة.

والعجيب هنا أن الجهاد في أفغانستان أخذ طابعًا إسلاميًا عامًا، بحيث برزت فيه محاولات ظهرت منذ انتشار الإسلام عندما تحاول بعض الفئات طعن الإسلام من الخلف، حيث وجهت الاتهامات إلى قادة الجهاد الأفغاني بالعمالة أحيانًا وبالركض وراء الدنيا أحيانًا أخرى. وهذا أمر غير مستغرب؛ لأن هؤلاء القادة بصمودهم ورجالهم هذه الفترة الطويلة أتاحوا المجال لرفع الحواجب عجبًا واستغرابًا، كيف يصمدون كل هذه الفترة إن لم تكن وراءهم قوى تنصرهم.. وعند هذه الفئات استبعاد لنصر الله تعالى لهم؛ لأن النظرة هنا مادية بحتة، ولعل هذا ما حدا ببعض المهتمين بالجهاد إلى المبالغة في ربط هذا الحدث بالجانب الروحي على حساب الجوانب المادية الأخرى، حتى ليظن المتابع عن بُعد أن تلكم الأرض أضحت أرضًا للمعجزات.. وحيث إن عقيدة المسلم لا تنكر هذا الجانب على الإطلاق، بل إنها تؤمن به إيمانًا عميقًا ﴿**وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى**﴾ فإنه من الممكن تصوير الموقف بهذه الصورة التي أظن أنها طرقت أبواب المبالغة. فوصلت عند البعض إلى حد يصل إلى الإنكار، وهذا لا ينبغي من منطلق عقدي. هذا في الوقت الذي وصلت فيه عند الآخرين من أبناء الأمة إلى تحسسها عند كل حدث من الأحداث.. وقد يصل الأمر هنا إلى أن يكون البحث عنها لذاتها وحصول شيء من عدم الارتياح إذا لم تحصل.. ولا أطيل في هذا الموضوع لحساسيته ولغضب بعض الأخوة من طرقه بهذه الصورة، ولكن الوقفة هنا وقفة تقويم، وهي بعيدة عن المجاملة في محاولة للربط بالواقع.. مع أنها تظل وقفة تقويم ذاتية تعوزها حفنة من المعلومات.. وتنقصها التجربة.. وتؤثر فيها المتابعة المحدودة البعيدة عن الساحة.

وفي وقفة تالية مواصلة لمشروع التقويم بهذه الهيئة التي جاءت عليها هذه الوقفة الأولى، فالله المستعان، وكان الله في عون الجميع.

وقفة تقويم :

الجهاد الأفغاني (٢)

وهذه هي الوقفة التقويمية الثانية للجهاد في أفغانستان، حيث توقفت في الأولى عند محاولات الطعن من الخلف، ولم يتوقف الطعن عند الاتهامات التي وجهت للقادة الأفغان وللقادة المجاهدين على أرض أفغانستان. ولا بد من التوكيد هنا على أن الساحة الأفغانية إنما هي ميدان لجهاد المسلمين ضد أعدائهم، وليست ساحة لجهاد الأفغان فقط. ولذا يشكل المجاهدون المسلمون من العرب ثقلاً على الساحة يحسب له حسابه، بل يردد البعض أن وجود المجاهدين من العرب كان له أثره، أو كانت له أثاره على الساحة. ومن المتابعين من يقول: إن هذه الآثار إيجابية شدت من أزر المجاهدين الأفغان وأعطتهم دفعات معنوية قوية، ومن المتابعين من يقول إن هذه الآثار لم تخل من سلبية، إذ كان للعرب المجاهدين أثر في توجيه الجهاد وإغفال بعض الأوليات التي كان الأجدر أن تصاحب القتال في الجهاد.

ولثقل المجاهدين العرب واشتغالهم المباشر مع القادة الأفغان في الداخل **وعلى الأرض الباكستانية وعلى الأرض العربية كان لا بد أن يتعرضوا** هم أيضًا للطعن من الخلف، حيث أفلح الطعن هذا في القضاء على الدكتور عبد الله عزام ـ رحمه الله ـ الذي كان يُعَدُّ «شيخ المجاهدين العرب» في أفغانستان. . **ويذكر أنه كان ضمن قائمة لقادة يراد تصفيتهم**. . حيث سبق تفجير سيارته في الشارع العام في مدينة بشاور وضعُ «عبوة» ناسفة تحت درجات المنبر في المسجد الجامع الذي كان ـ رحمه الله ـ يخطب فيه حينما يكون في المدينة.

ثم يمتد الطعن من الخلف في محاولة للقضاء على الأستاذ «البروفيسور» برهان الدين رباني أمير الجمعية الإسلامية الأفغانية في شهر رمضان المبارك سنة ١٤١١هـ حيث فجر الطريق الذي يسلكه إلى صلاة العشاء والتراويح في بيشاور، ويشاء الله ــ تعالى ـ أن يصلي ذلكم اليوم في بيته في جماعة فتنفجر «العبوة» الناسفة وتقضي على أحد الحراس، جعله الله من الشهداء.

ثم تكون هناك محاولة أخرى للقضاء على الأستاذ «البروفيسور» عبدرب الرسول سياف أمير الاتحاد الإسلامي الأفغاني، فيقبض على مجموعة من الرجال ويجرى معهم تحقيقًا يكشف عن أشياء سوف يعلنها الأستاذ سياف نفسه عندما يرى الوقت ملائمًا لإعلانها.

ثم يكون يوم الجمعة ٢٠/ ٢/ ١٤١٢هـ الموافق ٣٠/ ٨/ ١٩٩١م وتمتد يد أحد العرب المعروفين بنشاطهم الصحفي ويدعى أبا عبد الله الرومي/ أو عبد الله الرومي إلى الشيخ جميل الرحمن (محمد حسين بن عبد المنان) وتقضي عليه في بيته في باجور على الحدود الباكستانية الأفغانية. ويأتي هذا الحدث وسط أحداث في ولاية كونر بين المجاهدين أنفسهم، مما كان له آثاره السلبية على النظرة للمجاهدين وبخاصة عندما وصلت هذه الأحداث إلى بعض المجتمعات الإسلامية بشكل لم تصل فيه أحداث سبقت هذه الأحداث في تخار وقندهار وغيرها، مما يستدعي وقفة تقويم خاصة بهذه الأحداث في تاريخ الجهاد في أفغانستان.

وهذا الأسلوب في الطعن من الخلف مستمر، وهناك أفراد مستهدفون قد وقف عليهم الدور، ونحن لا ننتظر الشرَّ ولا نتوقعه، إلا أنه ينبغي الاستعداد والتهيؤ وتوطين النفس على ما قد يحدث في نطاق هذا الأسلوب في مستقبل الأيام، والله المستعان، وكان الله في عون الجميع.

الجهاد الأفغاني (٣)

من المؤكد أن هذه الوقفات تعبر عن انطباعات ذكرت فيما سبق أنها قاصرة من حيث افتقارها للتجربة والمتابعة القريبة، ولذا تأتي تعبيرًا عن الذات، فلا هي موضع قبول من بعض القارئين المتابعين والمسهمين إسهامًا مباشرًا في حركة الجهاد في أفغانستان. . وعدم القبول ينتج من التسرع في إطلاق الأحكام الذاتية على بعض الأحداث أو على المسيرة كلها من شخص يدخل في مفهوم الجاهل أو الأمي في هذا المجال. . وإن كان من فائدة من هذا الجهل وهذه الأمية فإنها تلتمس في محاولة التجرد والبحث عن الحكمة دون سيطرة من هوى أو تحيز لفئة.

والمجاهدون الأفغان ـ على ما هو معلوم ـ فئات قامت على شكل تنظيمات استحدثت في غالبها مع قيام الجهاد سنة ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م، مع وجود تنظيم سابق اتضحت أنشطته بدءًا من سنة ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م ولكنه كان موجودًا قبل ذلك بسنين.

ولمعظم قادة هذه الفئات أو التنظيمات باع طويل أو متوسط أو قصير في الوقوف ضد الحكم الشيوعي في أفغانستان. . والدراسات العلمية الموضوعية المستقبلية ستكشف عن مدى هذا الباع من حيث طوله وقصره. . ولكننا نستطيع القول إن الباع موجود بغض النظر عن وجهة هذا الباع، إذ من الواضح أن هذه الفئات تتبنى وجهات. . تقرب عند بعضها وقد تبتعد عند البعض الآخر.

ونحن المسلمين لا نعرف هذا الأسلوب في العمل الإسلامي، فمنهجنا واحد يقوم على تحكيم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ بالطريقة التي سار عليها

محمد عليه الصلاة والسلام وأصحابه والتابعون ومن تبعهم بإحسان . . ولا تدعي هذه الفئات أنها خارجة عن هذا المفهوم . . بل إن بعض المنتمين لهذه الفئات ليغضبون أشد الغضب عندما يكون هناك تلميح ـ ناهيكم عن التصريح ـ بأن من منهجهم حيدًا عن المفهوم الصحيح لتحكيم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ. وما قام الجهاد طيلة هذه السنين الثلاث عشرة إلا لتحكيم كتاب الله وسنة رسوله ـ عليه السلام ـ وإلا لركن البعض إلى مناصرة الحكم القائم في كابل أو بحث له عن تأشيرة إقامة في إحدى الدول الأوروبية أو بعض الدول الإسلامية وشغل وظيفة دنيوية تدر عليه مالاً قد يخدم من خلاله قضايا تهم بلاده ويرى فيها الصالح للبلاد بغض النظر عن كون هذه القضايا داخلة في مفهوم الجهاد وغيره . وكذا يفعل بعض الأفغان الذين لم يكن لهم في يوم من الأيام اهتمام بهذه المسيرة المباركة : الجهاد في أفغانستان .

وإذا كانوا في الغرب من الذين يتبنون مفهوم الديمقراطية يدعون اليوم إلى التعددية الحزبية ، وإذا كانت دول «حذو القذة بالقذة» من منطقة ما يسمونها بالنامية ترفع هذا الشعار قصدًا إلى الوصول إلى الحكم لتحقيق أهداف حزبية على حساب المصلحة العامة ، فإن هذه النظرة غير واردة في المفهوم الإسلامي للحكم وللتوجه . . فكم كانت الأحزاب وبالاً على أصحابها قبل أن تكون وبالاً على بلادها . وما يصلح ظاهرًا في بيئة لا يصلح باطنًا فيها بالضرورة ، ولا يصلح باطنًا وظاهرًا في غيرها . ومن هنا تكون نتيجة هذه الوقفة أن تفرق المجاهدين الأفغان إلى فئات تتقارب في بعضها وتتباعد في بعضها الآخر كانت له آثاره السلبية على هذه المسيرة المباركة . . والفرض هنا أنه لو كان المجاهدون تحت لواء واحد وقيادة واحدة . لكان الأمر ـ والله أعلم ـ على غير ما هو عليه اليوم . . ولعلنا نستعمل «لو» طمعًا في مستقبل أفضل من الحاضر لا تحسرًا على الماضي وفتحًا لعمل الشيطان . ولحساسية مثل هذا الموضوع أقف فيه عند هذا الحد ، وكان الله في عون الجميع .

الجهاد الأفغاني (٤)

ولا يعني تفرق المجاهدين إلى فئات عدم رغبتهم العملية في الاتحاد، فلقد كانت هناك ثلاث محاولات للاتحاد والانضواء تحت كلمة واحدة، فكان الاتحاد الإسلامي للمجاهدين الأفغان الذي رشح له الأستاذ عبد رب الرسول سياف، ثم كانت حكومة ورشح لها مولوي محمد نبي محمدي، ثم قامت الحكومة المؤقتة الحالية برئاسة الأستاذ صبغة الله مجددي، ويرأس الوزراء فيها عبدرب الرسول سياف، وجعل كل قائد من قادة الجهاد في أفغانستان وزيرًا في الحكومة العبورية، ومنهم من استقال ومنهم من بقي، ولا تزال هذه الحكومة قائمة، مع خروج بعض الأحزاب المؤثرة وعدم قبول بعض الأحزاب الأخرى. وقبل هذه المحاولات وبعدها كانت هناك محاولات للاتحاد.

وليس المقام في مجلة مثل هذه [1] يسمح بترديد كل ما يقال عن وضع الحكومة العبورية، كما أن المقام لا يسمح أيضًا بترديد أسباب خروج بعض الأحزاب من الحكومة وعدم قبول بعض الأحزاب في الحكومة. فتلكم أمور لا تزال ــ في نظري ــ غير واضحة والأقوال فيها ـ على العموم ـ متضاربة. ويبدو الاحتراز والحذر واضحًا هنا من خلال تعمد الجمل المعترضة هروبًا من التعميم، وتأكيدًا على أن هذه الوقفات إنما تعبر عن نظرة صاحبها، فالحديث عن الجهاد والمجاهدين في أفغانستان حديث ذو حساسية مفرطة يوقع صاحبه في مزالق دون أن يدرك أنه وقع فيها، وعلى أية حال لا أحد عاقلاً يبتغي أن يقع في أي مزلق يفتح عليه بابًا موصودًا.

(١) نشرت هذه الوقفة مع غيرها من الوقفات في مجلة الدعوة السعودية على اثنتي عشرة حلقة.

وواقع الحكومة المؤقتة أن تأثيرها في الداخل على غير الدرجة المتوخاة منها لأسباب عدة يدركها من يدركها ويجهلها من يجهلها، ولعل الواضح منها أنها حكومة على غير أرضها. وهذا وحده يشل من حركتها ويؤثر على قراراتها، ويبدو أن هناك سببًا آخر يتعلق بتحميلها من التوقعات فوق ما تحتمل. وعلى أية حال فقد أريد لها أن تمثل الأفغان المجاهدين والرافضين للحكم الشيوعي في أفغانستان، وهي تعمل على ذلك عندما اكتسبت قوة متمثلة في الاعتراف بها حكومة مؤقتة من قبل بعض الدول الإسلامية، **كالمملكة العربية السعودية وغيرها**. ولكنها لم تستطع لظروفها أن تحقق الوحدة بين الفئات في نظر الناس وإن كانت ينظر لها من قبل الدول أنها هي الممثل الرسمي، والوحدة بين المجاهدين لا يبدو أنها تتحقق تمامًا بمثل هذا الأسلوب وحده، إذ هناك جوانب عدة تعين ــ بعد الله تعالى ــ على تحقق الوحدة المستمرة، وهذه غالبًا بعيدة عن المفهوم المعاصر للسياسة، وتدخل في عمق التوجه نفسه للأفراد والفئات.

ومما جرَّته علينا الديمقراطية الغربية مما نراه بين فئات المجاهدين وقبوله من المهتمين من غير الأفغان هو الرضا بوجود فئات غير قابلة للوحدة، وهذا داخل في مفهوم التعددية الحزبية الذي تطرقت له الوقفة الثالثة. واستساغه عدم التفاف الفئات حول بعضها أدى في النهاية إلى وجود ثغرات بين المجاهدين استطاع المنافقون والعملاء وضعاف النفوس النفوذ منها وإحداث بعض الشروخ في الصفوف، الأمر الذي لم تقتصر آثاره على الساحة نفسها، بل قد تتعدى ذلك إلى المفهوم نفسه مما يُعَد أخطر نتيجة يمكن أن تخرج من جراء عدم القدرة الفعلية على الالتفاف ووحدة الصف ووجود الثغرات. وحيث إن الجهاد قام على أكتاف البشر فكان من المفهوم أن يحدث شيء من هذا، إلا أن النفوس ـ كما يبدو ـ قد وطنت على عدم قبول مثل هذا، وندعو الله تعالى أن يكون في هذا كله خير، وكان الله في عون الجميع.

وقفة تقويم :

الجهاد الأفغاني (٥)

بعض المتابعين لهذه الوقفات السريعة يقفون عند بعض العبارات ويبحثون من خلالها عما بين السطور. . وعنوان هذه الوقفات قد يفهم منه حصر الجهاد على الأفغان. . وهذا غير مقصود، إذ الساحة أفغانية. ولكنه جهاد المسلمين ضد الشيوعية بحيث تجد أنه يشترك في هذا الجهاد إلى جانب الأفغان «جنسيات» مختلفة في أشكالها ولغاتها ومشاربها تجمعها كلمة التوحيد وهدفها إعلاء هذه الكلمة، فبعد العرب تجد هناك أفارقة مسلمين وآسيويين مسلمين وأوربيين مسلمين وأمريكيين مسلمين. . ولعل الأولى هنا أن يقال مسلمين أفارقة. . مسلمين آسيويين، أخذًا في الحسبان عدم النظر إلى الشكل واللسان واللون والجهة الجغرافية، فأكرمنا عند الله أتقانا.

وعليه فإنني مع الرأي القائل بأن الجهاد في أفغانستان إنما يصدق عليه إطلاق جهاد المسلمين في أفغانستان أفضل من أن يطلق عليه الجهاد الأفغاني مما يوحي بحصر هذا الجهاد على إخوتنا الأفغان.

ومن المؤكد هنا ـ في الجانب الآخر ـ أن الأفغان لم يشتركوا جميعًا في هذا الجهاد بحيث تكون نظرتنا إلى الأفغان جميعًا على أنهم مجاهدون. بل من الأفغان من هم أشد على الإسلام والمسلمين من شيوعيي الاتحاد السوفييتي (الذي كان). وكم أفاد أفغان من هذه النظرة إليهم على أنهم جميعًا مجاهدون.

[وفي كويتا المدينة الباكستانية في مقاطعة بلوشستان حيث يوجد فرع للجنة الإغاثة السعودية المنبثقة عن الهيئة العامة لاستقبال التبرعات للمجاهدين

الأفغان وجدت أشخاصًا مدججين بالسلاح على جانبي الخط المؤدي من المطار إلى المدينة، وشكلهم الظاهر لا يختلف أبدًا عن المجاهدين من حيث السمات الشخصية المعروفة عن الأفغان، ومن حيث اللباس المعروف أيضًا عن الأفغان. ولقد ساورني شيء من الارتياح أن أراهم بهذا التنظيم، فسألت عنهم فقيل لي إنهم شيوعيون متمركزون في كويتا الباكستانية وهم مع الباكستانيين القاطنين في الجهات الغربية للباكستان ممن يختلطون مع الأفغان في الانتماءات القبلية بحيث لا تفرق بينهم لمجرد وجود الحدود بين دولتين إسلاميتين].

ومن المؤكد الآن أنه ليس كل من وطئت قدمه الساحة الأفغانية من غير الأفغان إنما جاء للجهاد. فالواضح أنه يندس بين الصفوف أناس قد باعوا ضمائرهم للشر وأهله، وأرادوا الخلخلة وإثارة الفتنة وربما الرَّصد وجمع المعلومات، مما أثار الحفائظ وجعل بعض المشاركين في هذه المسيرة يشكون فيمن يرقون إلى الشك وفيمن هم خالصوا النية لله تعالى ــ نحسبهم كذلك ــ والساحة ــ على ما يبدو ــ مفتوحة غير قابلة للتقييد بأي شكل من أشكال التقييد حتى أطلق عليها أنها متنفس لبعض دعاة المبادئ التي نستطيع القول إنها قد اشتطت وخرجت عن الطريق الصواب في فهم الإسلام، من بعض الجماعات التي دب اليأس في نفوسها فقنطت من رحمة الله وترجمت هذا اليأس والقنوط بأحكام قاطعة هي في الوقت نفسه جائرة تعود في مذلولاتها على مطلقيها؛ لأنها لا تنطبق بالضرورة على المطلقة عليهم. . ونـدعو الله تعالى أن يعين المجاهدين في أفغانستان على احتواء مثل هذه العناصر والتعامل معها بحكمة، علها تعود إلى الحق. وكان الله في عون الجميع.

الجهاد الأفغاني (٦)

لـوحظ في الآونـة الأخيـرة وبين أوساط الشبـاب بخـاصـة ، وفي المجتمع السعودي بعامة كثرة الحديث عن الجهاد والمجاهدين في أفغانستان . وحيث مرَّ على هذه القضية أكثر من اثني عشر عـامًا ، وحيث إنها ينظر إليها على أنها قضيـة المسلمين في أفغانستـان كما ينظـر إلى القضيـة الفلسطينية على أنهـا قضيـة المسلمين في فلسطين ، فإنـه يحق لكل أمـرئ أن يستجلي الحقـائق ، ويبحث عن تطورات القضية ، بل ويتابع ما يدور حولها في المجالس ووسائل الإعلام . إلا أن المتابعـة لها آدابها التي تقتضي مما تقتضيـه العدل في الحكم على الأشياء ، وهذا ما نسميه عادة في بعض الإطلاقات بالموضوعية والتجرد . ويقول الله تعالى : ﴿ولا يجرمنكم شنآن قوم على الا تعـدلوا ، أعدلوا هو أقرب للتقـوى . . . ﴾ الآيـة . . وليس هنـاك ــ ولله الحمـد ــ شنـآن واضح ، ولكنـه الاهتمام بالقضية والمفهوم ، والخشيـة من أن يعلق بهما من الشوائب ما يسيء إليهما . وحق للمسلم أن يهتم بأمر المسلمين ليكـون منهم ، وفي الوقت نفسه أن يسلم المسلمون من لسانه ويـده ليكون منهم . وبين هذين المطلبين يضع بعض الأفـراد أنفسهم في مـواقـف هم في غنىً عنهـا ، وبخـاصـة إذا كـان السـامعون كثيـرين مختلفي المشارب وعلى قـدر متفاوت من العلم الشـرعي والفقه فيه . بل إنه يكون من بين السـامعين ، المتحمسون والمندفعون الذين لا يملكون حظًا من العلم ويرغبون عن التزود به ، فيقعـون فريسة للأحكام الذاتية المتسـرِّعة غيـر القـائمة على دليل أو بـرهـان . وأظن أن البعض قد تهـاون في تعزيز مـوقفه بالدليل والبرهـان ، بل ربما غضب البعض إذا طلب منه دليل أو

برهان يقوي حجته ويقربها من القبول.

ولا أظن أن أحدًا يخالف هذا من حيث المبدأ، إلا أنه عند التطبيق يجيز البعض لأنفسهم ما لا يجيزونه لغيرهم، وهذا أمر غير محصور على الحديث عن القضية الأفغانية، بل هو أضحى ديدن بعض الإخوة المتعجلين في إطلاق الأحكام مما ينعكس على هؤلاء الإخوة قبل انعكاسه على غيرهم في نهاية الأمر.

وفي الوقفات السابقة مرت إشارات إلى هذا، ولعله لا يتوسع في هذا الأمر أكثر مما ينبغي، فليس هذا الأمر اليوم ظاهرة متفشية، ولكنه حب الخير للجميع والرغبة في الصفاء والنقاء ومحاسبة النفس قبل أن تحاسب.

وليس في هذا كذلك تبرئة للساحة الأفغانية من وجود التقصير الذي يصل في بعض الحالات إلى الخلل الواضح في العقيدة وفي المعاملات، وهذا التقصير معروف يقر به الكثيرون، ونحسب أنهم جادون في التغلب عليه من واقع المسؤولية أمام الله تعالى أولاً وآخرًا، وليس مجاملة لبشرٍ أو فئة من الناس. وإن مما يخدم القضية وينفع المفهوم أن تقوم المحاولات للتغلب على هذا التقصير وتقوى الله فيه على قدر الاستطاعة. والمجتمع الأفغاني مثل أي مجتمع آخر من مجتمعات المسلمين، فيه من التقصير ما فيه، وعنده من صنوف الخلل ما عنده، إلا أن التركيز على المجتمع الأفغاني يزداد بسبب وضوح راية لجهاد واستلزام أن يصحب هذه الراية صلاح في النية وإخلاص في العمل مع تقوى الله تعالى، وكان الله في عون الجميع.

الجهاد الأفغاني (٧)

قال أحد الأحبة : خلاص! انتهى الجهاد، وكأن الجهاد بالمفهوم الشامل الشرعي لهذا المصطلح موقوف على زمان ومكان، ونسي ـ وهو يعلم ـ أن الجهاد ماضٍ إلى يوم القيامة .

والسبب في هذا الموقف من الحبيب، أن المجاهدين الأفغان اليوم يمرون بمرحلة التصفية النهائية لمسيرة الجهاد المستمر منذ ثلاث عشرة سنة، إلا أن نبرة اليأس في كلمة صاحبي جاءت؛ لأنه كان ينتظر طوال هذه السنين دخول القادة الأفغان كابل (كابول) العاصمة على ظهر دبابة، على غرار دخول قادة المسلمين على صهوات الجياد فاتحين، يرحب بهم أهل البلاد لما ينتظرونه منهم من تخليص لهم من الظلم والطغيان وبسط الخير والسلام بالإسلام . ولكنّ شيئًا من هذا قد لا يحدث بهذه الصورة «الدرامية» .

ولا يعني هذا بحال أن الجهاد قد انتهى في أفغانستان، إذ المراد من الجهاد الذي قام طيلة هذه السنين ـ على ما نعلم ـ هو أن تكون كلمة الله هي العليا على أرض الأفغان، وهذا يعني التخلص أولاً من أولئك الذين أرادوا لكلمة البشر أمثال لينين وستالين وماركس أن تكون أعلى من كلمة الله، وهيهات لهم ذلك، فما سمحت الفطرة يومًا أن تكون كلمة المخلوق أعلى من كلمة الخالق، ولا تسمح الفطرة بهذا، وما أراد الله تعالى ـ وهو المدبِّر والمقدِّر ـ أن يكون هناك نظام يتعارض مع الفطرة ساريًا في أي مجتمع مهما بدا للبعيد أن شيئًا من هذا قد حدث أو أنه يحدث .

فالمؤمل في المؤمنين هنا ألا يرتابوا وأن يتيقنوا من حكمة الله تعالى وأنه سبحانه قد حرَّم الظلم على نفسه وجعله بين عباده محرمًا، ولكن! مازال العباد يصرون على التظالم!؟

وإذا أيقنا أنَّ المراد من الجهاد في أفغانستان وفي غيرها هو أن تكون كلمة الله هي العليا، أيقنا عندئذ أن الجهاد إنما قام ليقضي على العقبات البشرية المتراكمة أمام الوصول إلى هذا الهدف، إذ لا يقوم هذا الهدف دون تحقيق الوسائل الداعية إلى قيامه. وعليه فليس المراد هنا المنظر، إذ إن واقع اليوم قد لا يسمح بمثل هذا، أو قولوا على الأقل، إن المسألة ليست على هذا القدر من المظاهر التي ترضي شيئًا في النفس ولكنها ليست بالضرورة تؤدي الغرض المطلوب. ولا بأس من نظرة إلى الوراء هنا، يقرر فيها أن الجهاد في أفغانستان كان فجائي البداية، إذ إن الرجال هبُّوا عندما تسلطت عليهم الشيوعية بانقلاب عسكري، وهذا يعني أنه لم يكن هناك وقت كافٍ للتخطيط من ناحية، والناحية الأخرى، أنه ما كان أحد يظن أن القتال سيستمر طيلة هذه السنين ليقف وقفة تأمل وتخطيط. والأمل هنا ألاّ يظن أن الرأي هذا يلمح إلى أن الجهاد كان خبط عشواء، فلم يصل إلى هذا الحد، ولكنه لم يخضع بحال إلى التخطيط الذي تخضع له الحروب الحديثة التي تبيت فيها النية قبل مدة. وأسباب أخرى جرى التعرض لها في الوقفات السابقة، أعانت على الوصول بالجهاد في أفغانستان، إلى هذه البداية للنهاية، فندعو الله تعالى أن يحسن العاقبة، وأن يعز دينه وينصر جنده في أفغانستان، وفي غير أفغانستان، وأن يجعل فيما اختاره للأخوة الأفغان خيرًا لهم، وأن يعينهم على التعامل مع المرحلة القادمة التي أظن أنها ستكون أشد خطورة من المرحلة التي مضت، إذ إنها ستكون «المحك» الذي سيتيح للمتابعين الحكم على المرحلة الماضية. وكان الله في عون الجميع.

وقفة تقويم :

الجهاد الأفغاني (٨)

بمناسبة مهرجان الجهاد الذي أقامته جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض في شهر شعبان من عام ١٤١١هـ كتبت حرفين في نشرة الجهاد تحت عنوان «الجهاد ليس شعارًا» وكان فيها ردٌّ غير مباشر على أولئك الذين يسيئون استعمال هذا المصطلح الشرعي الطيب على النفوس .

والجهاد في أفغانستان لم ينظر إليه في يوم من الأيام على أنه شعار، وإلا لأعرض عنه الكثيرون، ولما ثبت طيلة هذه السنين، ولما كان سببًا ـ مباشرًا أو غير مباشر على اختلاف في هذا ـ في سقوط الشيوعية هذه السقطة التاريخية التي تمثل اليوم تحولاً خطيرًا في ميزان القوى .

والجهاد في أفغانستان لم ينظر إليه في يوم من الأيام على أنه شعار، وإلا لما راح ضحيته أكثر من مليون وستمائة ألف مجاهد ـ نحسبهم من الشهداء ـ وما خلفوه وراءهم من الأرامل والأيتام، وإلا لما راح ضحيته مئات الآلاف من المعاقين الذين حالت إعاقتهم دون مواصلتهم الجهاد بالقتال، وإن كانوا يواصلون الجهاد بالطرق الأخرى، أو هكذا نحسبهم . وإلا لما أنفق الروس على قمعه وقمع رجاله ملايين الدولارات يوميًا حتى خلت الخزينة واضطرت «القوة العظمى» إلى الاستدانة من دول أخرى لم تكن في يوم من الأيام على مستوى هذه القوة المادية .

وقد صاحب الجهاد في أفغانستان نظرات مادية من غير المسلمين في الغالب، ومن بعض المسلمين المتأثرين بالآخرين . وكنت في نقاش مع زميل قديم مع بدايات الجهاد وفي بلاد غريبة علينا جميعًا . كنت معه في نقاش

حول القضية الأفغانية فكان موقفي مع المجاهدين، ولكنه لم يكن ينظر إليهم على أنهم مجاهدون! ولم يكن ينظر للغزو الروسي على أنه غزو، بل نظر إليه على أنه نصرة لمن طلب النصرة ضد مجموعة من «المتمردين»!!

ثم يمضي الأمر ويطلق على المجاهدين إطلاقات كثيرة، كالثوار والعصابات وغيرها في البدايات الأولى للجهاد، ولكن ولأسباب يدركها البعض فرضت الكلمة نفسها على الإعلام الغربي أولاً، وإذا فرضت كلمة نفسها على الإعلام الغربي فهي تفرض نفسها على الإعلام الآخر الذي تتفق على اتخاذه مصدرًا للمعلومات الإخبارية، فدخلت كلمة «مجاهدين» بإطلاقها العربي الإسلامي دون محاولة البحث عن معنى باللغات الأخرى، إذ المعنى لا يؤدي الغرض الذي تؤديه الكلمة بإطلاقها العربي. كما الحال تمامًا عندما فرضت كلمة الانتفاضة نفسها على الإعلام الغربي.

ومع هذا ظل الإعلام العربي ـ بالعين المهملة ـ مصرًا في بعض صحفه ووسائل إعلامه ـ وليس فيها كلها ـ على التمسك بأن هناك متمردين وثوارًا وعصابات. **ووقعت هنات تذكر لبعض الصحف الملتزمة نتيجة النقل المباشر من وكالات الأنباء دون تمحيص أو تأصيل.**

وهناك من يطيب له أن يمسخ كلمة الجهاد والمجاهدين من المصطلحات الإعلامية. وهذا أمر مدرك، إذ لم يقف الأمر في الماضي على مسخ الكلمة، ولكن المحاولات وصلت إلى مسخ المفهوم كله من الشريعة الإسلامية وأنه إنما قام في فترة كان الإسلام بحاجة إليه، فيقتصر الآن المفهوم على الدفاع عن النفس!! وستستمر المحاولات هذه مع الأيام. ومن هنا تكمن الخطورة عندما يشكك البعض ـ بحسن نية ـ في الجهاد في أفغانستان، مما يقتضي التروي وعدم الاندفاع خشية الدخول في جحر الضب عن غير قصد ولا تعمُّد ولا إصرار في الدخول، وحبذا لو طالت الوقفة قبل اللجوء إلى التشكيك، وكم كلمة قالت لصاحبها دعني.

وقفة تقويم :

الجهاد الأفغاني (٩)

وشاع الآن بين الناس لأسباب لعلها معروفة لدى المتابعين السؤال عن النصر. وكان هذا السؤال قد شاع من قبل في قوله تعالى في الآية [٢١٤] من سورة البقرة : ﴿**أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله، ألا إن نصر الله قريب**﴾. ولا يود بعض المتابعين هذا الربط للاختلاف في المدة وفي الزمان وفي الرجال. وعلى أية حال يعود القارئ إلى منزلة من يصل إلى الحد الذي وصل إليه الصحابة في زمن غير زمن الصحابة، فقد وردت فيه النصوص التي ترفع من هذه المنزلة.

والذين استبطأوا النصر يريدون أن يعيدوا هذا البطء إلى أسباب، فتراهم يبحثون عن الاحتمالات التي «قد» ترد في ذهن الناس بعيدًا عن الضابط العقدي لهذه الاحتمالات، وإلا فالضابط العقدي لا يقبل منها إلا احتمالاً واحدًا يتماشى مع ضوابط الإيمان بالله تعالى. ونقل هذه الاحتمالات لا يعني إقرارها أو مجرد التفكير في قبولها جميعها : وقيل إن تأخر النصر لا يخرج عن أسباب ثلاثة :

أ ـ إما أن الله تعالى قد عجز عن نصر عباده؛ لأنه ـ جل وعلا ـ لا يملك القدرة على نصرهم.

ب ـ وإما أنه قادر على نصر عباده ولكنه ـ سبحانه وتعالى ـ قد خذلهم ولم يوفهم وعدًا وعدهم إياه في قوله تعالى : ﴿**أُذِنَ للذين يُقاتلون بأنهم ظُلِموا وإن الله على نصرهم لقدير. الذين أُخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا**

الله، ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجدُ يُذكرُ فيها اسمُ الله كثيرًا، ولينصرنَّ الله من ينصره إن الله لقوي عزيز﴾ [الحج ٣٩ ـ ٤٠].

جـ ـ وإما أن الله تعالى قادر على نصر عباده ولم يخذلهم ولن يخذلهم، ولكنهم هم لم يصلوا المرتبة التي يستحقون معها النصر.

والاحتمالان الأولان متعذران؛ لأن فيهما صفات نقص، والله تعالى منزَّه عن صفات النقص، ويبقي الاحتمال الثالث، وهو رغم عدم قبوله لدى البعض هو الوارد، إذا ما اقتصر الأمر على هذه الاحتمالات الثلاثة.

إلا أن هناك رأيًا لا يتعرض لهذه الاحتمالات كلها، ويؤيد النظرة التي تميل إلى أن المجاهدين ـ على العموم ـ مستحقون للنصر، وإنما تأخر النصر تمحيصًا وتهيئة لقيام حكم الإسلام في أفغانستان. ولاشك أن الأفغان اليوم يختلفون عنهم قبل عشر سنين مضت، ولا شك أيضًا أنه بحكم رفع راية الجهاد لم يصبح القرار مقصورًا على الأفغان فقط، بل إن المسلمين عمومًا والعرب من المسلمين بخاصة أصبح لهم يدٌ في القرار. وتشتت القرار له أثره ـ على ما يبدو ـ في مسألة القرب من النصر والبعد عنه، وإذا أضيف إلى هذا عوامل أخرى جرى ذكرها في الوقفات السابقة كعامل وحدة الصف في مقابل التحزب، وعامل التقصير البشري الذي يعترف به الأفغان أنفسهم، أدركنا شيئًا من الحكمة في تأخر النصر، ولا يبدو أننا من خلال هذه التحليلات السريعة سندرك الحكمة كلها من تأخر النصر، إذ يبقى تدبير المدبر الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، الذي كتب على نفسه ألا يظلم أحدًا من عباده أبدًا: «ياعبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرمًا فلا تظالموا». وعسانا ألا نكون في هذه الوقفة قد ظلمنا أحدًا من إخواننا، فإن يكن فأسأل الله المغفرة. وكان الله في عون الجميع.

وقفة تقويم :

الجهاد الأفغاني (١٠)

وفي الوقفة السابقة جرى ذكر للعرب، إذ إن المجاهدين المسلمين من العرب قد أسهموا إسهامًا فاعلاً في الجهاد في أفغانستان، وقدّم الشباب أرواحهم على الجبهات الداخلية، وقدّم غيرهم أرواحهم على الجبهات الداعمة. ندعو الله تعالى أن يكتبهم في الشهداء وأن يحشرهم مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقًا. ولا يستطيع البعيد من الرجال أو الشباب أن يتحدث بغير الإعجاب بهؤلاء الذين جادوا بأثمن ما يملك المرء. ولذا فإنا لا نخوض في واقع هؤلاء الشباب والرجال قبل أن يُفضوا إلى ما قدَّموا.

والساحة الأفغانية لم تضق بالمجاهدين من العرب وغيرهم، فكأن الساحة حقًا جامعة إسلامية جمعتها كلمة التوحيد ووحدَّها على الجبهة نداء الله أكبر. إلا أن العرب من المسلمين كانوا هم الظاهرة التي برزت على الساحة بعد الأفغان أنفسهم. وحيث إن هؤلاء العرب قادمون من أرض الرِّسالات في الجزيرة العربية وأرض الشام ومصر فقد كان لحضورهم معنىً لدى الأفغان فاق ما كان متوقعًا منهم كأفراد يعبرون عن رغبتهم في إعلاء كلمة الله. ولذا؛ ولأنهم كانوا يعبرون عن أنفسهم فلم يكن يتوقع منهم جميعًا أن يكونوا علماء في الشريعة والعلوم الإسلامية الأخرى، بل إن جزءًا منهم كان يجهل بعض ما يعرف من الدين بالضرورة.

ولم يدرك المجاهدون الأفغان بعامتهم هذا النقص لدى العرب إلا عندما عايشوهم ولحظوا الجهل من بعضهم، ولكن هذا الإدراك جاء على ما يبدو

متأخرًا بعد أن مكَّن الأفغان لبعض العرب وبخاصة الشباب منهم أن يكون لهم رَيّ أو تكون لهم يدٌ في صنع القرار. ولم تكن إسهاماتهم في الرأي قاصرة أو متسرعة رغم ما يتمتعون به من روح الشباب، ولكن جزءًا منهم على أية حال لم يكن على مستوى الرأي، وإن ملك شيئًا من مقوِّمات جرَّته إلى أن يكون في الصورة يؤخذ رأيه أحيانًا أو يدلي برأيه أحيانًا أخرى. ولا ننكر أن هناك أفرادًا حاولوا فرض آراء لهم، ولكنهم لم يوفقوا إلى ذلك بعد أن أدرك الأفغان «الحجم العلمي» الذي ينطلق منه بعض الشباب.

وعلى كل حال فليس القدر الذي أسهم به المجاهدون المسلمون العرب من الجانب الإيجابي مساويًا للقدر الذي أسهموا به من الجانب السلبي.

وتأتي هذه الوقفة ردًا على ما ذاع أخيرًا من تحميل المجاهدين المسلمين العرب شيئًا من مسؤولية ما وصل إليه المجاهدون على الساحة الأفغانية، فإن كان جزء من هؤلاء العرب معدودًا يتحمل شيئًا من المسؤولية، فإن الجميع لا يدخلون في هذا الجزء ولا شك.

والحيث عن المجاهدين العرب لا يتم إن لم يرد ذكر للمجاهد الشيخ عبد الله عزام ـ رحمه الله تعالى ـ الذي كان يُعدُّ في حياته شيخ المجاهدين العرب. وأظن أن اغتياله في يوم مبارك قد ترك فراغًا كبيرًا في الساحة لم يُملأ. وأستطيع القول إن من أتوا بعده ـ على العموم ـ هم من تلاميذه في الساحة، وإن كان بعضهم أكبر منه سنًا، ولكنه كان يملك من القدرات والمواهب ما جعله يبرز على أنه قائد من قادة الجهاد في أفغانستان وفي البلاد العربية. إذ لم يكن قد بدأ الجهاد في أفغانستان ولكنه بدأه في فلسطين المحتلة، وعندما لم يجد من يحميه من الخلف ليتفرغ لمن هم أمامه آثر أن يلقى الله تعالى على أرض من أراضي الجهاد الأخرى.

وقـد حـاول البعض العمل على خلافتـه ولكن هـذه المـواقع لا تتحمَّل أن يتعمد البعض عمل شيء من أنفسهم، ولكنها بحـاجة إلى التجرد والإخلاص في القول والفعل ـ وأحسب أن الأمـر كذلك مع من أفضى ومع من بقي، رزقنا الله جميعًا التجرد والإخلاص في القول والفعل، وكان الله في عون الجميع.

obeikandl.com

وقفة تقويم :

الجهاد الأفغاني (١١)

في وقفة سابقة مع الجهاد في أفغانستان ذكرت أن إخواننا المجاهدين الأفغان هم الآن غيرهم قبل عشر سنين. والوقوف عند هذه العبارة مدعاة إلى سوء الفهم، وسوء الفهم شائع بين فئة من المتابعين الذين رسموا خطًا واضحًا لهم، وما لم يدخل في هذا الوضوح من آراء وكتابات وأحاديث يساء فيه الفهم.

والأفغان قبل بداية الجهاد كانوا مثل غيرهم من الشعوب الإسلامية الأخرى، عندهم نسبة عالية من الأمية، والوعي الديني بينهم محدود. وأستطيع القول إن هذه النسبة في الأمية قد تقلصت خلال هذه المدة من الجهاد، إذ قد يتوقع البعض أن انشغال المجاهدين في قتال الأعداء قد يؤثر على الأبناء من حيث تعليمهم وتربيتهم، وقد يؤثر على الناشئة من حيث تدريبهم على المهارات والحرف، وقد يؤثر على الجميع من حيث توعيتهم توعية دينية، ولكن شيئًا من ذلك لم يحصل، إذ وفَّق الله المجاهدين المهاجرين بمجموعة من الشباب من طلبة العلم وبمجموعة من الهيئات التي اهتمت بمجالات الدعوة ومجالات التربية والتعليم ومجالات التدريب وتنمية المهارات. هذا في الوقت الذي ارتبطت فيه القضية الأفغانية بالجهاد الذي يراد له أساسًا أن يعلى كلمة الله تعالى التي تقتضى من المعلي أن يعرف أساسات ما يريد إعلاءه حتى يعليه. فكان هناك فئة ممن أدركوا هذا، وإن لم يتحقق هذا الإدراك لدى جميع الأفراد فالعبرة بالقيادات.

وبين الأفغان علماء ودعاة وأساتذة وخريجو جامعات في الداخل قبل بدء

الجهاد وفي الخارج أثناء قيام الجهاد، وهؤلاء يسهمون إسهامًا فاعلاً في توعية الناس في المخيمات بين المهاجرين، وفي المعسكرات بين المجاهدين، بل إن بعض القادة الميدانيين لديهم من الوعي ما يجعلهم في مصاف طلبة العلم، إن لم يكونوا في مصاف العلماء. ونحن دائمًا نسعى إلى الأفضل وإلى الأصح والأسلم، ولذلك نريد منا نحن كما نريد من إخواننا أن نخلو جميعًا مما هو غير صحيح وغير سليم، ومسؤولية المسلم الفرد أمام الله تعالى أن يعبده على حق، ولذا فإن هذا المطلب مرغوب فيه أساسًا؛ لأنه مدعاة إلى سعادة الفرد قبل الجماعة، وعليه فلا غرابة في الدعوة إلى الوصول إلى الكمال الممكن بشريًا الوصول إليه. والمؤمل أن يصل الجميع إلى هذا الكمال بفعل الأسباب من خلال انتشار الدعوة والتعليم بين جميع القطاعات في المجتمع المسلم.

والأفغان جزء من المجتمع المسلم، وقد تعرض هذا المجتمع لموجة من التوعية تسير ــ بإذن الله ــ في الطريق الصحيح إذا ما وفقت إلى مزيد من التوجيه والترشيد بحيث لا تكون هذه الموجة محصورة على مجرد الأفكار والمثاليات والنظرة السريعة التي تتسم بالسطحية في مقابل العمق في التطبيق وطرق هذا التطبيق. إلا أن المجتمع الأفغاني قد ناله نصيب أوفر من المجتمعات الأخرى بحكم الارتباط المباشر بالقضية والتسابق على الساحة في سبيل الإسهام في إعلاء كلمة الله كل بما يستطيع وأحيانًا بما لا يستطيع. وتولد عن هذا ـ لدى البعض القليل من الناس ـ شعور داخلي لا يفصحون عنه إلا أن تصرفاتهم تدلُّ عليه برفض بعض العناصر الجديدة أو على الأقل بعدم تحمل العناصر الجديدة القادمة على الساحة. ولا أشك أن في هذا نوعًا من الأنانية الناتجة عن خلل في مدى الوعي، هذا الخلل الذي يبرز أحيانًا عندما يكون هناك خطب جلَل يثبت فيه من يثبت ويتأرجح فيه من يتأرجح. والقصد

من هـذا كله إثبات أن الـذين وجدوا علـى الساحة الأفغـانية من الأفغـان ومن غيرهم ليسوا جميعًـا بالضرورة على قدر عـالٍ من الوعي بأمور الديـن والدنيا، وأن هذا الـوعي في ارتفاع على مرِّ الأيـام، زاده الله ارتفاعًا، وكـان الله في عون الجميع.

obeikandl.com

وقفة تقويم :

الجهاد الأفغاني (١٢)

الجهاد لا ينتهي بل هو ماضٍ إلى يوم القيامة، ولكننا عرفًا يمكن أن نقول إن الجهاد قد توقف في مكان محدَّد من أرض الله الواسعة وهو قائم في أماكن أخرى. والجهاد ماضٍ بالمفهوم الشامل للجهاد حتى إذا توقف جانب القتال فيه. ويتردد الآن في الساحة الإسلامية أن الجهاد في أفغانستان قد بدأ مرحلته النهائية أو أنه في بداية النهاية. وسواء توقف الجهاد رسميًا في يوم من الأيام وحصل وفاق بين المجاهدين وتكوين حكومة إسلامية في كابول أو لم يتوقف القتال فإن الجهاد ــ على ما يبدو ـ سوف يستمر على الأرض الأفغانية لسنين عديدة، إذ تبرز هنا ـ مع افتراض توقف القتال ـ صنوف أخرى للجهاد تتعلق بحكم الله على أرض الأفغان. وهذه الفترة لن تكون هينة على الأفغان بخاصة وعلى المسلمين بعامة.

ومما لا شك فيه أن الجهاد في أفغانستان ومقابلة الشيوعيين له بصنوف السلاح وأدوات الدمار والتخريب قد خلّفت أرضا خربة تحتاج إلى وقت طويل حتى تعاد إلى ما كانت عليه أو أفضل مما كانت عليه. وخلفت نفوسا كسيرة تحتاج إلى وقت أطول، حتى يمكن العمل على جبرها، وخلفت قضايا اجتماعية تتعلق بالأرامل والأيتام والمعوقين والثكالى والمشردين تحتاج إلى وقت أكثر طولاً حتى «تتعايش» مع الوضع الجديد الذي قد يكون عليها أكثر ألمًا مما لو كانت موجودة في المخيمات خارج أرضها الذي يسمونه الوطن أو خارج أرضها الذي يسمونه المدينة أو القرية أو المزرعة. ومن هنا يأتي مفهوم استمرارية الجهاد في ربط هؤلاء جميعا بالله تعالى من خلال تحقيق الوعد

الذي ضربه قادة المجاهدين على أنفسهم وعلى إخوانهم بالعمل على تطبيق شرع الله تعالى في المسائل الإيمانية والمسائل السلوكية من العبادات والمعاملات و إقامة شرع الله تعالى على أرضه .

ويظن البعض أن هذه مهمة سهلة هذه الأيام، والحق أنها سهلة لمن سهلها الله عليه، ولكنها في الوقت نفسه تحتاج إلى مقومات عدة في الإنسان حتى يستطيع الوقوف على مستوى التحدي الذي تواجهه الأمة اليوم من الشرق و لغرب . والإيمان المطلق بأن الله تعالى فوق الشرق والغرب أمر رئيسي وبارز في مسألة وجود المقومات .

لقد رضي المجاهدون الأفغان والمسلمون بعامة التصدي لهذه التحديات فسخَّر الله لهم من يعينهم على هذه المواجهة، وهم لا يزالون راضين فجاءت علامات النصر بطيئة ولكنها واضحة، والمطلوب الآن من المجاهدين الأفغان والمسلمين بعامة مواصلة هذا التصدي للتحديات القادمة التي ستتغير ألوانها وأساليبها بتغير البنية السياسية في العالم وتحوّل «ميزان القوى» نحو الضفة الغربية من العالم كما يبدو هذه الأيام .

و إذا كان البعض يريد أن يردد أن الغرب لا يريد أن تقوم للإسلام قائمة، لا في أفغانستان ولا في غيرها؛ فإنه ينبغي تركيز الأذهان بعد توجيهها إلى أن الله تعالى قد أراد لهذا الإسلام أن يقوم ويظل قائمًا إلى أن تقوم الساعة فلن يضيره شرق ولا غرب، وإنما الأمر هنا في ظاهره يعود إلى الإنسان الذي تحمَّل الأمانة وسعى إلى أن يحملها .

ولعلنا نتوقف هنا في موضوع الجهاد الإسلامي في أفغانستان مع أن الموضوع لا يحتمل التوقف، فالعودة واردة ولكن ليس بالطريقة المتواصلة رغبة في الوقوف عند أمور أخرى تهم المسلمين ولا تنحصر في مكان بعينه أو زمان محدد وكان الله في عون الجميع .